

باب الترتيب والتعلم

السورة الثامنة منه هيرورة اسم (*)

تجلي العلم في العمل

زرت بالأمس أنا وه اميل ه ولولا مسبك قصدير في بازناس واقع على ضفاف خليج الجبل ولست أقضي المعجب من منطف هذا الخليج الذي كأنه في عظامه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قبالدة ه يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أما كن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تقطها سُفُفٌ من البلاط الاسود لا يتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أ كواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحصّر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطنطيني اللون (كنا) الى ممدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليله ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير ويعد مكابته محناً مختلفة تجرد عما كان متمزجاً به من المواد المكدره لصفائه وهي الحصا والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة ه يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة اليافض ويسقط في حناية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولما نه القمر في احدى ليالي الصيف أبيض ساطعاً

اذا صب القصدير في الحناية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الأخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتبرجه

«مرب من (باب تربية الياق) من كتاب اميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس جنية من جنات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن النضبان. ذلك أن فقايق الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محرقة تسمع لها نشنشة تبجس من كل ناحية انجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم أن «اميل» ولو لا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تصورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الامعى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائم على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من العوامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعميم واقصد قصداً أكيداً أن أستمع به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراهى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية في بانزاس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغربية فلم يلفت ذهن «اميل» ما في خزائنه من قطع هذه الدفائن للرتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارف من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوقاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بمجتها يد الانسان فكان مرآة في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت في رواق ترمياً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الأرضين وقد شاء وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المربعة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعاها صدعا وأشبعها كسراً وقد هاج شوق «اميل» منظر أعمال النحت هييجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته مهم فلم
تذهب عليه عبثاً

ان فني إيهوسياً اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى
ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجراً رملي قديم واستولى استيلاء الملاك
على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائن الآرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « أميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديقونشاير فاعتضد
المطرفة وحمل التحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره
من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائن الآرية
التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها صريباً
في التاحف ذلك لأن آثار الاجسام المضوية تصكون غالباً من الاحتباء في باطن
الحجر بحيث انه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه
لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافي من سمة تدل عليها أو
طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات المناحت وتحمته
وطوراً تكون هشة فتلاشي وتنقت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة
واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان
« أميل » سيخضع فيه غير مرة وسيتفق له أن يحسر لقطائه أو يعيبها على حين
اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من
اليافين اذا غلبته العقبات للادية وجد عليها وبسه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا
يلبث أن يتظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى
فن العمارة فسيذكر « أميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية
الفخيمة ان حجارها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان
نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والحلوقات المضوية القديمة
التي صارت هذه الصخرة رسماً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بمرق جينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً
واسعاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتطاع ما كان دونها من
العقبات يكون لها في ذاكرة جانها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا غناء مجهزة

محفوفة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأ بنفسه من الحمار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومفوضاً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومرآة

أنا لأشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا السبل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم معولابه في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معلم من المعلم الكيرة الأ وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فلما أهر ما يرى فيه من قوى الطبيعة مقيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضع الحديد مضافاً وتقطع الخشب قطعاً وآلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسيم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلية في كده وكده فحلت محله وحجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بيمين قريرة ساكنة . نعم ان هذا للمشهد لا يأخذ أول الأمر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعمما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعة

ليس أخقر الأشياء بأقلها دائماً في صنعه آتارة للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعملية الكبريت والديوس والشمة (كما ينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل عام عدة من الصناعات والاحتصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن « اميل » اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها . على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ماشككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعلم شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربية

ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

العامل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتمظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك منزلة اخرى له قايت شمري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتجنس حقوقها من الضاية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

أنا وعلم المسيحية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الإسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مساماً لعرفه فزعم ان علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالسبب وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم ان طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في اوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسامين بالجهل والغباء والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جنابة جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العام المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يفتر العاقل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالمدون الظاهر فينفرون منها . وقد عام القراء ان المستأئين رجعوا اليها والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أتى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه